

كامل من الرجال كثير تعد جائزة نوبل من أهم الجوائز المتاحة في مجالات الأدب والطب والفيزياء والكيمياء والاقتصاد والنشاط من أجل السلام . و 49 امرأة . أي أن نسبة النساء إلى الرجال 5 ٪ . ولافت جدا نسبة النساء في الجوائز والتساؤل الحاضر في ذهن كل متابع : هل اعترض أحد على هذه النسبة ؟ هل اهتمت الجائزة بانتقاص المرأة ؟ هل الجائزة منحازة للرجال ؟ من زاوية أهم ، وأكثر التصاقا بما أود قوله : أين الطاعنون في السنة – الذين يزعمون باطلا أنها جاءت تنتقص المرأة – عن التصدي لمثل هذه الجائزة العالمية المعاصرة ؟ العقل المنصف في التعامل مع نتائج هذه الجائزة ، يدرك أن نسبة فوز النساء إلى نسبة فوز الرجال ليست إلا محاكاة للواقع البشري الذي نعيشه . ولم يكمل من النساء إلا : آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وأبن النساء إذن ؟ والزوج الصابرة ، اللاتي يهين المكان والجو الهادئ للرجل لما برع أحد ! ولا حتى مخترع جائزة نوبل نفسه ! ولا يخالف في هذا عاقل ، تضحية المرأة لتكميل من حولها سواء كان ابنا أو زوجا ، حقيقة أوضح من الشمس في رابعة النهار ! لذلك يعترف كل الناس أن : وراء كل رجل عظيم امرأة » ، فإن كلا منهما كفلت نبيا في حال صغره ، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله » وقبل بيان معاني ألفاظ الحديث ، وشرحه ، لا بد من التنويه على أن الأصل في الإسلام تساوي الرجل والمرأة في التكريم والجزاء ، قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) [الحجرات : ١٣] . وقال جل شأنه : (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) (١٢٦) { [النساء : ١٢٦] . وقال عز وجل : (ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا) [الإسراء : ٧٠] . فالله عز وجل فضل بني آدم – وهم ذريته ذكورا وإناثا – على كثير ممن خلق ، ثم فضل الرجال على النساء تفضيلا يقابله تكليف ، بما يوافق الفروق الخلقية بين الذكر والأنثى ، وبالنظر في سبب نزول آية التفضيل – وهو أن النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث – ذكر تعالى في هذه الآية أنه إنما فضل الرجال على النساء في الميراث ؛ لأن الرجال قوامون على النساء ، وينفقوا عليهن ، كما أن فضل الرجال على النساء حاصل من وجوه كثيرة ، وبعضها أحكام شرعية ، فمن الأحكام الشرعية : اختصاصهم بالنبوة ، والولايات ، بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال دون النساء ، « فقد وضع على طاولة النقاش ، وأورد عليه عدة تساؤلات ، لا شك أن معرفة معنى أي كلمة ابتداء يقتضي النظر في لغة العرب وماذا تعني في قواميسهم ، والتمام تطلق على ما يتجزأ إلى أجزاء . ولا يزال طالب العلم يترقى في هذه المراحل والمستويات حتى يتوقف عند الأستاذية ، ولا يوجد رتبة علمية فوقها ، فالامتياز أعلى تقدير ، ومن حازه فقد فاز بالكمال ، منه ٩٠ – ٩٥ – ١٠٠ . وبالنظر للحديث نجد إنصاف النبي ودقة لفظه ، حين فصل كمال الرجال ، عن كمال النساء ، إذانا بأن للرجال كمالا يختلف عن كمال النساء ، فما يعد كمالا في المرأة ، ليس بالضرورة أن يكون كذلك في حق الرجل ، ومهما قيل في الكمال فالمقصود به كمال بشري محدود . – النبوة : وهي أعلى مراتب الكمال ، وهي مرتبة خاصة بالرجال لا يشاركهن النساء فيها ، ٢ – الصديقية : وهي كمال العلم والعمل ، ٣ – الشهادة في سبيل الله تعالى هـ – الأخلاق . جاء الكمال في الحديث بدلالة الماضي في موضعيه للرجال والنساء ما مع اختلاف الصيغة . كيف ؟ الأولى : الفعل الماضي في « گمل من الرجال كثير » ، وهذه واضحة لا إشكال فيها . = والثانية : (لم يكمل) ، صحيح أن (يكمل) فعل مضارع ، لكنه إذا سبق ب (لم) أصبح معناه ماضيا ، لذلك يقول أهل النحو أن (لم) تقلب زمن الفعل من المضارع إلى الماضي . لذلك عندما تسأل أحدهم : هل سافرت في الإجازة ؟ وسافر فعل ماضي فأصبح الحديث كله إخبارا عن الماضي ، ونص شراح الحديث على أنه إخبار عن الأمم السابقة . ومعنى « كمل من الرجال كثير » ، أما قوله : « ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران و آسية امرأة فرعون » ، وهذا القليل محصور في مريم وآسية في زمانهما ، والمراد ببلوغهما الكمال أي النهاية في جميع الفضائل التي للنساء . – وهنا وردني سؤال : هل يعني أسلوب الحصر الذي ذكر معه كمال مريم وامرأة فرعون أنه لا يكمل غيرهن ؟ لأنه كما تقدم أن الحديث عن الأمم السابقة ، وبعدها أزيد من عشر سنين ، وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها وتها ، فإنها حُصت بمزيد فضيلة على أخواتها ، وأما عائشة نموها فإنه لا يعرف في سائر النساء من هذه الأمة بل ولا في غيرها أعلم منها ولا أفهم) . إذا عرفت ما تميزت به " مريم بنت عمران " ، – أما الجملة الأخيرة من الحديث وهي قوله : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » : فقد يشكل معناها على من لا يحسن فهم أساليب العرب ، بفضل الثريد على سائر الطعام ، وكتب السنة والسيرة تزخر بمناقب أم المؤمنين عائشة وها ، وهذه لفتياتنا يتأملنها جيدا : أن فضل المرأة المسلمة ، بل يذكر ويشكر أيا كان عمرها ، وهذا دليل على أن المرأة قد تكون مؤثرة وهي في عمر صغير !